وان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول
ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرا مجاهد
كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير سواه مما لا يليق بمنصب
العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي
من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله
تعالى بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء
الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقاء
الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت
عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدات المنامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك
تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمل
لاول حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن عايشة اول ما بدئ به رسول الله
صلى الله عم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلعم بمكة خمس عشرة
سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين
يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عم قال وذكر جواره
بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث عايشة
في غطه له واقرائه له اقرا باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من
نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون فقلت لا تحدث
عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها
فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله

وانا جبريل

وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا الحديث
ان قوله لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقائه جبريل عليهما السلام وقبل
اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن
شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت
والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلعم قال لخديجة
اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واني لاخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول
لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم
منها معاني الشك في تصحيح ما راه وان كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له
واعلام الله له انه رسول فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما
القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان النبي صلى الله عم كان يرقى بمكة من
العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت
له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها
امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة
رسول الله صلى الله عم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلته
للنبي صلعم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى
عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك
وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عم يا ابن عم هل
تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له
اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك
يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة لما فعلته لنفسها